

وقد حلم الاديم ، ^(١) والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ،

(القوة في المال)

رسالة حكيمة وردت اليانا من أحد كتاب دمشق الشام الافاضل فأثبتها لما فيها من التنبيه والفائدة شاكرين فضل مرسله وغيرته وهي

نم المعين على المروءة للفتى مال يصون عن التبذل نفسه
لا شيء أتعلم للفتى من ماله يقضي حوائجه ويحلب أنسه
واذا رمت به يد الزمان بسهمه غدت الدراهم دون ذلك ترسه
المال ولا أزيد القراء به علماً من أعظم أسباب السعادة والرفاه ،
وبواعث السؤدد والمنفعة والجاه ، بل هو المحور الذي تدور عليه الاعمال ،
وتناط به الآمال ، وتحيط عنده الرحال ، وتوجه اليه هم الرجال ، فلا
يستغنى عنه في حال من الاحوال

لا بد للمرء من مال يعيش به وداخل القبر محتاج الى الكفن
بالمال نقضى الحاجات ، وتنال الرغبات ، وترد اللغات ، وتضاعف
الحسنات ، وتستجلب الدعوات ، وتعمل الخيرات ، وترفع الدرجات ،
فهو زينة الحياة وغاية الفايات ،

شيئان لا تحسن الدنيا بغيرهما المال تصالح منه الحال والولد
زين الحياة هما لو كان غيرهما كان الكتاب به من رنسا يرد

(١) حلم الاديم وقع فيه الحلم (دود) فافسده والكلام يضرب مثلاً لمن يحاول اصلاح امر بعد فسادة واليأس منه

والفقر أعاذنا الله وإياكم منه هو البلاء الأكبر، والموت الآخر،
 إذا قل مال المرء قل حياؤه وضائق عليه أرضه وسماؤه
 وأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدامه خير له أم وراؤه
 كم صير العزيز ذليلاً، والشريف وضيعاً، وقد ورد فيه «كاد الفقر أن
 يكون كفراً»، وما ضرب العباد بسوط أوجع من الفقر

غابت كل شديدة قلبتها والفقر غالبني فأصبح غالبني
 أن أبده أفضح وإن لم أبده أقتل فقبح وجهه من صاحب
 فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
 وفي الحديث الشريف «لا خير في من لا يحب المال ليصل به رحمه
 ويؤدي به أماته ويستغنى به عن خلق ربه» ومن كلام الامام الثوري: المال
 في هذا الزمان عزلة لمن. ومن كلامه أيضاً المال سلاح المؤمن في هذا الزمان
 هذا قليل من كثير مما قيل في فضل المال وفوائده ومنافعه بالنظر
 للأفراد، وأما بالنظر للامة فتوائده أعظم وأجل، وفقده أدهى وأمر، قال
 حكيم: لا دولة إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال ولا مال إلا بالعمارة. فالمال هو
 ميزان قوة الامة وداعية مجدها واستقلالها خصوصاً في هذا الزمان الذي
 أضحي مدار الأعمال فيه على المال إذ بالمال تسد الثغور، وتشاد القلاع والحصون،
 بالمال تجمع الجموع، وتحشد الجيوش، بالمال تصان الحدود من هجمات الأعداء،
 وتسير الأساطيل في عرض البحار، بالمال تبتاع العدد من أسلحة ومدافع
 وذخائر، فالقوة كل القوة في المال، كما أن كل الصيد في جوف الفراء، ولا حياة
 للامة بلا مال، ولا وجود ولا استقلال، ومعلوم أن ثروة كل دولة من ثروة
 أمته وثروة الامة من ثروة الأفراد فإذا كان الأفراد أغنياء كانت الامة

غنية وإذا كانت الأمة غنية كانت الدولة قادرة على حفظ دمارها وحماية
بيضتها وصدهجيات الأعداء عنها، ومنع مطامع الطامعين فيها، إذ لا يخفى أن
الجسم المادي كبيراً كان أو صغيراً - من الكرة التي يلعب بها الأولاد الصغار
إلى أكبر الثوابت - هو مؤلف من جواهر فردية وقوته عبارة عن مجموع
قوة هذه الجواهر فكذلك الدول العظيمة مؤلفة من مجموع أفراد تبعثها
وقوتها عبارة عن قوة تلك الأفراد فإذا أعنت صانعا على إحياء صناعته أو تاجراً
على توسيع تجارته أو زارعاً على اتقان زراعته فقد أحسنت إلى ذلك التاجر
والصانع والزارع «أولاً» وزدت في ثروة بلادك «ثانياً» وفي أمتك ودولتك
«ثالثاً» والعكس بالعكس. فالصانع والتاجر والزراع يجب أن يكون لهم
المقام الأول في الهيئة الاجتماعية لأن عليهم مدار الثروة والقوة

فإذا علمت هذا ظهر لك خطأ بعض الجاهلاء المتسمين بسمة العلماء الذين
يزهدون الناس في الاشتغال والأعمال ويثبطون همهم عن العمل بحجة أنهم
يزهدونهم في الدنيا الفانية، ويقربونهم من الآخرة الباقية، وإن الساعة على
وشك القيام، فلا حاجة إلى هذا الاهتمام. يحسبون بذلك أنهم يحسنون
صنعاً ألساء ما يعملون. يتناضون بهذا عن تنشيطهم الناس بصفة أنهم قادة
المقول، إلى النهوض من سنة الخمول، إلى الكد والجهد ومناظرة غيرهم في
جهاد الأعمال والاشتغال، فإن الدنيا مزرعة الآخرة والشرع الإسلامي لم
يحظر على أحد الكسب والارتزاق بالوجوه المشروعة وقد جاء في الحديث
«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» وما
ورد من التزهيد في الدنيا يراد به الزهد بما في أيدي الناس

وأما احتجاجهم على وشك قيام الساعة فالساعة علمها عند الله سبحانه

وتعالى كما جاء في الكتاب وما يميننا ان كانت قرية أم بعيدة فعليتنا ان نعمل بتلك القاعدة الذهبية التي وضعها أحد الفضلاء ونربي أولادنا عليها وهي « اذا أخبرنا ملك من السماء باننا سنموت غداً فيجب ان تم واجباتنا اليوم ونموت غداً » ومعلوم ان موارد الكسب ثلاثة الزراعة والتجارة والصناعة « سنفر لكل واحدة منها مقالة في المستقبل » وقوامها كلها بالتوفير والاقتصاد وليس المراد بالتوفير الشح والبخل المذمومين شرعاً وعقلاً بل اتقان أساليب الكسب والارتزاق وتوفير الثروة العمومية واصلاح التجارة والزراعة والصناعة على الطرق التي يجري عليها الغربيون ورائد ذلك كله العالم الصحيح كما سنبينه في فرصة أخرى

والقصد من هذا التمهيد كله ذكر بعض مشاهدته في الديار المصرية مما يذهب روعة أهلها وملاشاتهم ، ان ظلوا على سباتهم وغفلتهم ، وذلك اني زرت الديار المصرية منذ عشرين سنة ووزرتها في العام الماضي فوجدت فرقاً كبيراً في الزبارة : وجدت في الزبارة الاولى مصر للمصريين وفي الثانية مصر للدخلاء والغرباء ، وجدتهم قابضين على الوظائف المهمة ، والاشغال العظيمة ، وجدت المالية بيدهم وكذا التجارة ، والبنوك ، والاشغال العمومية ، وجدت الوطنيين آلة صماء بأيديهم ، وجدت أكثر أبناء الأعيان الذين هم رجال المستقبل منغمسين في المنكرات ، عاكفين على اللذات ، ينفقون المال جذافاً في سبيل البذخ والشهوات ، وكثيرين منهم باعوا مآثرهم لهم أسلافهم من الاطيان والمقار وأضاعوه في المقامرة واخواتها من القوачش ، وجدت الوطنيين مثقلين بالديون الأجانب ، وجدت أكثر سراتهم ووجهاتهم عاكفين على اللهو والبطالة وأحوالهم في تأخر وتقهقر

والاجنبي يتزأموالهم ويملك أطيانهم، وإذا سافراً حدم إلى البلاد الاوربية كما هي عادة بعضهم في زمن الصيف وأبان القيظ فلا يعود منها بتجارة أو صناعة تعود عليه وعلى بلاده بالنفع والفائدة بل بأحمال من الازياء والعادات الافرنجية التي تذهب بجانب كبير من ثروته إذا لم تذهب بمجموعها . وقد شاهدت واحداً منهم فتح مخزناً كبيراً لتجارة واسعة قرب الازبكية فتزل الخديوي أيده الله يوم فتح المخزن لتشريف مخزنه بذاته الكريمة وهناك تنشطاً لغيره باحتذاء مثاله .

ثم جلت في الارياض حتى انتهيت إلى الحدود فرأيت مثل ما رأيت في البنادر الكبيرة وزيادة: رأيت الدخلاء قد نصبوا فيها للفلاحين المساكن فخاخ المسكر والميسر والفواحش والربا الفاحش وقمعونهم فيها ويستولون على أطيانهم. رأيت في الاقصر داراً كبيرة حمراء على هيئة البرابي المصرية القديمة لرجل أجنبي قدم البلاد منذ بضع سنين فسمع ان الفلاحين يستدينون الجنيه الواحد بخمسة غروش في الشهر فاستوطن ذلك المحل وأخذ يقرض الفلاحين الدنانير بذلك الربا الفاحش فأرى اراء مفرطاً وبني تلك لدار على الهيئة التي ذكرناها ولما مررت بكفر الاورأيت فيه المواخير والحانات ومحلات المقامرة والفحش والعمد والفلاحين عاكفين عليها أي انكاف وكنت اذا مررت بعزبة عامرة وفيها الآلات المتقنة لري الارض أسأل عنها فيقال لي انها لفلان الاجنبي ابتاعها حديثاً من فلان الوطني واذا مررت بعزبة عامرة تسقى بالشادوف أو الساقية أسأل عنها فيقال لي انها لفلان الوطني وهو على وشك أن يبيعها لانه مشغل بالديون للبنك أو لفلان الاجنبي . وفي الجملة اني رأيت تنازع البقاء في هذا القطر بالغا أشده بين الوطنيين والدخلاء

ولا بد ان يؤدي الى نتيجة المعلومة « بقاء الانسب » أي ملاشاة الوطنيين « لاسمح الله » اذا ظلوا على حالتهم الحاضرة وقيام الدخلاء مقامهم فيصبحون لديهم أجراء يستخدمونهم كما يستخدمون البهائم. فبمثل هذا يجب الوعظ والانذار، ولمثل هذا يجب توجه الافكار وتنبيه الهمم، ولما كانت جريدتكم من الغيرة والحمية بالمكان الذي نعلمه ونعلمه الجميع كتبت اليها بهذه العجالة مع علمي اني بذلك كهدي السمك الى البحر، والتمر الى هجر، وبالله التوفيق

بيع الحكومة المصرية لسفنها واطيانها وسككها^(١)

باعت الحكومة المصرية لاجل حملة السودان البواخر الخديوية لشركة انكليزية وكانت قررت بيع تفتيش الوادي لكن لم يعزم الامر فيه لانه وقف وقررت اخيراً بيع الدائرة السنية لشركة انكليزية فرنسوية مصرية لكن الشركة تطلب تحويراً في شروط البيع فلم يحصل القبول الآن وعزمت على بيع سكك حديد السودان فارسل الباب العالي رسالة برقية للجانب الخديوي في ذلك وهذا ما خصها على ما جاء في جريدة الاهرام الغراء

« ان انكليترا باحتلالها مصر قد اعلنت مرارا احترام حقوق السلطنة العثمانية على وادي النيل مما نشكرها عليه ولما كانت سكك حديد السودان طريقاً حرة فانه يستحيل بيعها الى شركة ولا سيما اذا كانت اجنبية ونحن نعلم احتياج مصر الى المال للقيام بنفقة الحماية السودانية ، ولكن الاموال متوفرة في صندوق الدين فيمكنها ان تناول منه ما تحتاج اليه ومع ذلك فان الباب العالي يسمح لمصر بعقد سلفه لتفقات السودان وهو مستعد لاصدار فرمان شاهاني بذلك » اه